ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Women in the Perspectives and Life of the Byzantine Historian Michael Psellus (409-471 AH / 1018-1078 AD)

Assist Prof: Fadila Hassan Kalaf

Kirkuk University
College of Education for Human Sciences

* *Corresponding author: E-mail* :
dr.fadila65@gmail.com

***Keywords*:**
Psellus,
Styliane,
Byzantium,
Women,
Thodote

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 4 Jan. 2022
Accepted 17 Aug 2022
Available online 17 June 2023
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

Michael Psellus, a prominent fifth-century AH/eleventh-century AD Byzantine historian and philosopher, is regarded as one of the most influential Byzantine historians and philosophers of his time. He became famous in Constantinople for his wisdom and encyclopedic knowledge, which distinguished him from those writers in his generation till he became one of the brightest employees of the imperial court in Constantinople and worked for nine emperors of Byzantium, and he was in the orbit of the throne, and he reached this high position, and he had many reasons that denoted him to assume this position, including his eloquence as one of the most influential courtiers in the Byzantine court and a member of the imperial court, he included the works of the emperors. In addition, Psellus penned an elegy for his mother and daughter and left numerous letters and speeches that addressed many facets of his life and the life of his family, as well as the advantages and characteristics of the women in his household, which influenced what he recorded in his chronograph, about women in positions of power and palaces.

© 2023 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.30.6.1.2023.11

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

المرأة في فكر وحياة المؤرخ البيزنطي ميخائيل بسللوس (409-471هـ/ 1018 -1078م)

أ.م.د فضيلة حسن خلف المفرجي /كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ

الخلاصة:

يعد المؤرخ والفيلسوف البيزنطي ميخائيل بسللوس من أبرز المؤرخين والفلاسفة البيزنطيين الذين ظهروا في القرن الخامس للهجرة/ القرن الحادي عشر للميلاد وقد ذاع صيته وعلت شهرته في القسطنطينية بما تميز به عن ابناء جيله من الكتاب والفلاسفة من الحكمة والمعرفة الموسوعية حتى أصبح من ألمع موظفي البلاط الامبراطوري في القسطنطينية ،وقد احتلت المرأة حيزا كبيرا في حياته وفكره ووثق ذلك في

كتاباته من اعمال تاريخية وادبية من رسائل وخطب ومرثيات عن والدته وشقيقته فضلا عن ابنته وزوجته، وقد كتب حوليته التي وثق فيها جوانب من حياته وحياة اسرته وخبراته وما دونه من مزايا وخصال لنساء بيته مما اثر على ماسجله في حوليته عن نساء السلطة والقصور الملكية وعلاقاته برجال السلطة واطلاعه بشكل مباشر على تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية من خلال دورانه في فلك السلطة فعمل لدى تسعة من اباطرة بيزنطة واحتل مكانة مرموقة بينهم لما كان يمتلكه من فصاحة ورجاحة .

الكلمات المفتاحية: بسللوس. ستيلياني . بيزنطة. المرأة. ثيودتي

المقدمة

من المعروف ان المرأة في المجتمع البيزنطي لم تكن تحظى باهتمام المؤرخين البيزنطيين على مدى سني حكم الامبراطورية بقيت الضبابية تحيط بصورة المرأة العادية في المجتمع البيزنطي فما كان متداولا عن صورة المرأة لدى الكتاب البيزنطيين يتناول الشخصيات النسائية المعروفة من الطبقات الارستقراطية بمختلف المسميات والالقاب، ممن تبوأن العرش الامبراطوري عن طريق الوصاية او الوراثة او من خلال اقترانهن كزوجات للأباطرة فتناولتها المصادر البيزنطية بشيء من التفصيل، لكن المرأة والاسرة بقيت بعيدة عن دائرة الضوء والاهتمام اما المرأة البيزنطية العادية فقد شحت المصادر عن ذكرها او التطرق الى وضعها في المجتمع البيزنطي وهذا يعود بالتأكيد الى ان المؤرخين كان جل اهتمامهم يقع على تدوين الاحداث السياسية والحربية وسير الاباطرة والقادة العسكريين اكثر من ايلاء الاهتمام بالمرأة وسبل تأثيرها في المجتمع البيزنطي ودورها في الاسرة وكان هذا هو الدافع الذي حفزني لأقدم هذه الدراسة المتواضعة عن نموذج لأسرة من المجتمع البيزنطي في القرن الحادي عشر للميلاد/ القرن الخامس للهجرة وهي اسرة المؤرخ والفيلسوف البيزنطي ميخائيل بسللوس الذي كان له اثر كبير في البلاط البيزنطي وفي توجيه السياسة البيزنطية بفضل مكانته العلمية والفكرية فقد عاصر تسعة من الاباطرة وامضى اربعين عاما في موظف في البلاط وتدرج في المناصب حتى اصبح رئيسا للوزراء، فكان بحق شاهدا لعصره ، ومن هذا المنطلق سوف نسلط الضوء على دور المرأة في حياته واثرها في صياغة فكره وكما قيل ان كانت الشعوب تصنع القادة فان المرأة تصنع الرجال واعتمدت الدراسة على ما انتجه هذا المؤرخ من مؤلفات تاريخية وادبية تم ترجمتها مؤخرا من اللاتينية الى الانكليزية وماصدرت حوله من دراسات حديثة تم الافادة منها وقد ضمت الدراسة مقدمة وثلاثة مباحث تنتهي بخاتمة. ومن الله التوفيق

حياة المؤرخ ميخائيل بسللوس

ولد ميخائيل بسللوس في القسطنطينية سنة (409هـ/ 1018[1]) واسمه الحقيقي قسطنطين وقد اشتهر باسم ميخائيل وهو اسم المعمودية الذي ناله عند تعميده بالماء المقدس في دير ميشاد على جبل

اوليمبوس[2] في بثينيا عبر بحر مرمرة في القسطنطينية, [3] ينتمي بسللوس لاسرة بيزنطية من الطبقة البرجوازية وان كان اسلاف والده ممن يحملون الرتب الارستقراطية من بطارقة وقناصل ونشأ في كنف اسرة ميسورة الحال وكان يسارها محدودا لدرجة انه لاقى صعوبة في السير بمرحلة تعليمه اذ ان تكاليف زواج اخته قد اثر على ذلك،[4] عمل والده بالتجارة وكان يطمح بان يشاركه بسللوس عمله حينما يكبر لكن بسللوس كان طموحه اكبر من ان يكون تاجرا وشخصا عاديا ويطمس موهبته الادبية في الكتابة في غياهب التجارة،[5] فعلى الرغم من هذه الاسرة الصغيرة المتكونة من الاب والام والاخت الا انها غرست فيه الطموح الكبير لنيل الافضل في المستقبل، وكان لوالدته اثر كبير في مسيرة حياته العلمية والعملية اذ بذلت في سبيل تعليمه كل ماتملك من جهد ومال لإعداده، وقد تتلمذ ميخائيل بسللوس في سن مبكرة على يد احد المدرسين وهو يوحنا موروبوس[6] من دير تانارسو المحلي الذي يقع في القسطنطينية[7] ودرس الفلسفة وفن الخطابة والطبيعة والرياضيات وعلم المنطق في جامعة القسطنطينية وكان بارعا في البلاغة والخطابة والفلسفة وفي شبابه عمل سكرتيرا لدى احد القضاة في اقليم الاناضول وهو يوحنا اكسفيلينيوس،[8] وكان قبل هذا التاريخ يتردد على البلاط الامبراطوري ويطلع على اخباره ويؤكد ذلك في حوليته أنه التقى وهو في السادسة عشرة من عمره بالامبراطور العجوز رومانوس الثالث ارجيروس(419-426هـ/1028-1034م)،[9] وتكلم معه ثم كان حاضرا في وفاته وشاهد جنازته فيذكر" رأيت موكب الجنازة بنفسي، ولم تظهر لي لحية بعد... وشاهدت جثته وكان لونه متغيرا ووجهه منتفخا"،[10] وبعد ذلك قدمه صديقه قسطنطين ليكوديس للعمل في البلاط سنة(434هـ/ 1042م) في عصر الامبراطور ميخائيل الخامس (433-434هـ/1041-1042)[11] واصبح عضوا بارزا في هيأة المستشارين في البلاط لتمكنه من البلاغة والخطابة وكانا السبب في نجاحه وسرعان ماحصل على مكانة مرموقة في عصر الامبراطور قسطنطين التاسع موناماخوس الذي امتلأ بلاطه بالمفكرين والمثقفين الشباب فتمت ترقيته الى مدرس في قسم الفلسفة في جامعة القسطنطينية ثم رئيسا لكلية الفلسفة في جامعة القسطنطينية. [12] ومن ثم حصل على لقبا فخريا وهو قنصل الفلاسفة لجهوده في اصلاح المناهج الجامعية والتأكيد على دراسة الكلاسيكيات الاغريقية والادب الهوميروسي والفلسفة الافلاطونية بدلا من اللاهوت المسيحي،[13] التي حرمت دراستها قوانين جستنيان الى جانب علم الفلك والتنجيم،[14] اصبح بسللوس في طليعة الحياة السياسية والفكرية في الامبراطورية البيزنطية ونال اعجاب الاباطرة بما يمتلكه من فصاحة لسان وفكر عاليين ،[15] فقد اعجب قسطنطين التاسع(434-446هـ/ 142-1054م)، [16] ببلاغته فحظي بذلك بسللوس بصداقة الامبراطور واصبح مسؤولا عن كتابة رسائل الامبراطور، الا انه انسحب الى الدير ليصبح راهبا وهو في اوج شهرته سنة446هـ/ 1054م،ثم رجع عن قراره وترك الدير وعاد ليمارس وظيفته في البلاط بناء على طلب الامبراطورة ثيودورا (446-448هـ/1054-1056م) [17] ولمع نجم بسلليوس في عصر الامبراطور ميخائيل السادس(448-449هـ/1056-1057) عندما تم اختياره لرئاسة السفارة لأجل المفاوضات مع اسحاق كومنين لحنكته السياسية

لمايمتلكه من حجة وفن الحديث والبلاغة العالية ،[18] واصبح في عصر قسطنطين العاشر دوكاس((451-460هـ/1059-1067م) عضوا نشيطا في البلاط فكان صديقا مقربا منه لذلك جعله معلما ومؤدبا لأولاده ميخائيل وقسطنطين. [19] وقد نال حظوة كبيرة في عصر الامبراطورة ايودوكيا واخذت تشاركه في اتخاذ القرار لمكانته السامية ولحكمته البالغة وقربه الدائم من عائلة دوكاس، وفي عهد ميخائيل السابع دوكاس(463-471هـ/1067-1078م) اصبح رئيسا لوزرائه وكان دائم النصح له،[20] وقد عمل بسللوس لأكثر من اربعين سنة في البلاط وعمل لدى تسعة من الاباطرة مايدل على قدرته العالية ومرونته في التعامل مع الطبائع المختلفة لهؤلاء الحكام. [21]

صورة المرأة في المجتمع البيزنطي

اتسم المجتمع البيزنطي بميزة التدين والتشدد ازاء المرأة ذلك نتيجة الثقافة السائدة والافكار التي تبنتها الكنيسة المسيحية ورجال الدين حتى اصبحت الكنيسة بالنسبة للمجتمع البيزنطي هي الحكم الرئيسي على الاخلاق العامة والخاصة ومصدرا للقواعد المنظمة للعلاقات بين الجنسين وبالتالي انعكست تلك النظرة البائسة للمرأة على المجتمع البيزنطي،[22] واعتبروا المرأة مصدرا للإغواء والشر واداة من ادوات الشيطان منذ الخطيئة الاولى،[23] والفكر الذي طرحه هذا المجتمع بالتأكيد يدعو لعزل المرأة وبقائها في المنزل وعدم اختلاطها بالرجال وحرمانها من التعليم واقتصر التعليم لبنات الاسر الارستقراطية وبشكل محدود بينما ركزت الاسر المتوسطة على تعليم الفتيات الاعمال اليدوية وقراءة الكتاب المقدس, ولم يسمح لهن بمغادرة المنزل الا للذهاب للكنيسة او للحمامات العامة ويكون خروجهن ليلا ويرافقهن الخدم وكانوا من العبيد الخصيان[24] فيقول بطريرك كنيسة القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي يوحنا الذهبي"ان النساء يجب الا يخرجن الا من اجل الذهاب للكنيسة او للحمامات"،[25] تلك هي صورة المرأة في المجتمع البيزنطي حسبما صورته الروايات المصدرية لكتاب القرن الحادي عشر , [26] وكان للنساء البيزنطيات المثقفات موقف متناقض حول صورة المرأة، وقد عبرت كاسيا شاعرة القرن التاسع عن امتعاضها من وصف الامبراطور ثيوفيل الثالث (214-228هـ/829-842م) [27]حينما ابدى رأيه في المرأة بقوله انها كارثة حتى ولو كانت جميلة اما اذا كانت قبيحة فأن لها اسوء مصير،[28] واكدت هذه الصورة الاميرة انا كومنينا[29] التي تعد من الطبقة الارستقراطية وذات الثقافة العالية في عبارة ناقدة لبنات جنسها وعن مدى ضعفهن امام سلطة الرجل" أنهن ندابات جيدات لقدرتهن على ذرف الدموع"[30] وفيما يتعلق بالأسرار هجت انا كومنين بنات جنسها وشبهتهن بالاواني المثقوبة لعدم قدرتهن على حفظ الاسرار وأستثنت من ذلك الوصف جدتها انا دالاسينا ووالدتها ايرين دوكاينا " انهن كالأواني المثقوبة ولاتعنيهن الاعمال الجادة"[31]

عاش بسللوس في بيئة ومجتمعا رافضا للتغيير ومتحفظا بشدة ازاء المرأة ومؤمنا بسلطة الرجل المطلقة عليها وجعل مهمتها الرئيسية تنحصر بدور الزوجة والام, [32] ونشأ وهو محاطا بنساء بيته والدته ثيوديتي واخته وزوجته وابنته ستيلياني فكان لهذه الاسرة اثرا كبيرا في تكوين رؤيته للمرأة من خلال مادونه من خطب ورسائل وماكتبه في حوليته الكرونوجرافيا وقد نقل لنا من خلال ذلك صورة لنموذج اسرة من الطبقة الوسطى في القرن الحادي عشر تعيش في مجتمع تميز بالتدين والتحفظ والالتزام الصارم تجاه المرأة واسهمت في تشكيله عناصر عديدة منها التكوين الذكوري للمجتمع والقوانين الكنسية والاعراف والتقاليد وكان لهذه العناصر تأثير كبير في صياغة الفكر السائد في المجتمع البيزنطي،[33] وفي ظل هذه المعطيات المجتمعية علينا ان نناقش رؤية بسللوس للنموذج المثالي الذي رسمه لحياة المرأة والخصال التي يجب ان تتسم بها.

اثر المرأة في حياة ميخائيل بسللوس

من المعروف ان أول امرأة في حياة بسللوس هي امه ثيوديتي (هبة الله) والتي كانت تربطه بهاعلاقة روحية وعاطفة شديدة ،[34] وكان يرى فيها انها امرأة غير عادية وبالغ في وصفها لدرجة انه جعلها في مصاف القديسات لما اتسمت به من خصال المرأة الصالحة لتمسكها بالفضيلة والاخلاق الحميدة،[35] فيروي بسللوس في مرثيته التي كتبها عنها بعد وفاتها عن مثالية امرأة ملتزمة في دينها متأسية بما جاء في الكتاب المقدس من تعاليم مقدسة وقد روضت نفسها على الطاعات " وكانت تنجذب الى الكتاب المقدس كما تنجذب الأيائل العطشى بشكل لا يقاوم إلى ينابيع هذه الأنهار المتدفقة"[36] ويشيد باحتشام والدته وانها كانت ترتدي وشاحا بصورة دائمية يغطي رأسها ووجهها اي انها كانت ترتدي الحجاب ولم تنزع ذلك الوشاح الا عندما حضرت جنازة ابنتها ووقفت عند قبرها فكشفت عن محياها للمرة الاولى من شدة انفعالها معبرة عن حزنها بفقدها فلذة كبدها فيقول: [37] " كأنها كانت ممسوسة بالجنون لأول مرة وهي غير مبالية لنظرة الرجال لها" وقد انبهر الحاضرون بجمالها لأنها لم تكن تسمح لاحد ان يراها وهي سافرة لانها ترتدي الوشاح بشكل دائم, [38] ويبدي بسللوس اعجابه بإرادة امه في التعلم على الرغم من ان والداها لم يسمحا لها بالذهاب الى المدرسة لكونها فتاة وكانا يؤمنان ان المرأة الصالحة مكانها الطبيعي في البيت كزوجة وام في المستقبل وان التعليم يقتصر على الذكور لكنها وجدت سرا من يعلمها مبادئ القراءة والكتابة فعلمت نفسها بنفسها وتمكنت من قراءة الكتاب المقدس وتعلمت من خلاله القصص والحكم واصول دينها لتصبح اما وزوجة جديرة ومؤثرة بأسرتها وفي وتربية ابنائها وتعليمهم وهذا ما فعلته مع بسللوس, [39] ومن هذا المنطلق كان موقف بسللوس مختلفا من ناحية تعليم الفتيات عن موقف اسلافه فهو يؤمن بمبدأ التكافؤ والمساواة في التعليم ونيل الثقافة للرجل والمرأة على حد

سواء، [40] وقد اثرت به ايما تأثير فدون فضائلها في الخطبة الجنائزية التي كتبها في رثائها قدم فيها صورة لام وزوجة مثالية شرح فيها خصائل وسمات تميزت بها فهي على الرغم من الصرامة الشديدة والقسوة التي كانت تبديها في تربيته والتي تنم عن حرصها واخلاصها فقد تعمدت اخفاء مشاعرها تجاهه ولم تبد ضعفا امامه من اجل مواظبته على التعلم والدراسة فكانت لا تسمح له بالنوم قبل ان تقص عليه مآثر القصص المعبرة والاكثر قدسية من العهد القديم كقصة اسحاق وكيف اطاع والده وقصة يعقوب الذي نال بركة ابيه لأنه اتبع نصائح والدته مما كان لهذه القصص ابلغ الاثر في تنشأته على الطاعة لوالديه، [41] ولم تقص عليه يوما الاساطير الخرافية المعروفة عن الجان التي كانت تروى للصغار او تلك التي تثير الفزع والخوف في نفوسهم فيقول بسلليوس "انها غرست في داخلي كل كلام الهي" وكنت مجبرا على سماعها من شدة طاعتي لها وتعلقي بنصحها, [42] وقد كانت تخفي حبها له وتعامله بشدة ولكنها كانت تعانقه وتضمه بين ذراعيها وتهيل عليه بقبلاتها الدافئة وتقول "ليتك تدرك كم احبك ياطفلي الحبيب لكني لا استطيع منحك القبلات الكافية"[43], وتكمن حكمتها في ذلك لئلا يكون اكثر جرأة واقل طاعة لاوامرها وتبغي من وراء ذلك ان لا ينشأ طفلا مدللا رخوا في المستقبل بل كانت تريد ان تصنع منه رجلا حكيما وصلبا منذ نعومة اظفاره، [44] بينما كانت تبدي حبها لشقيقته الكبرى بصورة علنية لكن ذلك لم ينشأ كراهية بينه وبين شقيقته الكبرى والتي سنأتي على ذكرها لاحقا ،[45] ومن خلال ما اورده بسللوس في مديحه لوالدته ثيودوتي انها كانت امرأة صالحة لاترغب في النميمة ولاترغب التجول في السوق فيقول: " أوقفت أذنيها عن كل جزء دخيل من النميمة ، ولم تزور السوق المزدحم بالرجال" [46] ،فضلا عن ذلك كانت ثيودوتي عطوفة على والديها ولم تنقطع يوما عن زيارتهما واسداء الخدمة لهما بعد كبرا في السن الى جانب اهتمامها بأسرتها وبيتها وهذا برأي بسللوس قمة الوفاء والمثالية لامرأة صالحة مثل ثيودوتي. [47] وقد تأثر كثيرا بنبل والدته وخاصة في مسألة اهتمامها بالفقراء والمعوزين من خلال اطعامهم وتوزيع الصدقات عليهم باستمرار اذ كانت تقوم بعمل الالبسة من المنسوجات في المنزل وتتصدق بها عليهم وهو امر اعتادت عليه النساء في صنع الالبسة من الصوف والتفنن في تصميمها وتعليم الفتيات على هذه الصنعة. [48]

لذلك نجد بسللوس لم ينتقد هيمنة والدته على الاسرة لانه يرى فيها صورة الام البيزنطية الطموحة الحريصة على بيتها واسرتها ونستدل على ذلك من خلال ما كتبه عن والده بعبارات مليئة بالاعجاب لشخصية بسيطة نبيلة ومسالمة،[49] وقد شبهه بشجرة سرو وارفة الظلال تشع نعمة للاسرة بينما كانت والدته ثيودتي تدير شؤون البيت بحزم وانها حافظت على التوازن في ادارتها للمنزل وقدست الاختلاف بين الزوجة الام وبين الزوج في مجتمع ابوي كانت الهيمنة فيه للرجل من خلال احترامها لزوجها وتفانيها واخلاصها للاسرة[50] وكانت مثاليتها تتجلى في الاهتمام بتعليمه منذ صغره فيذكر فضيلتهاعندما اخذت بيده الى المعلم الخاص وهو في سن الخامسة من عمره [51] وكان جون موروبوس هو اول من قام

بتعليمه في دير تانارسو في بثينيا [52] وكانت ثيودوتي حريصة كل الحرص على متابعة دروسه فتذاكر له دروسه وتختبر تعليمه بالاستماع له وهو يقرأ وتسهر على دراسته ليلا لكي يتفوق فيقول عنها: " كانت تقوم بتوجيهي من خلال استجوابي عند عودتي من المدرسة حول ماتعلمته من المعلمين "[53] وقد ادركت والدته ثيودتي انه كان معجزة في ذكائه ونجابته فشجعته على الدراسة متنبأة له بمستقبل زاهر، وكان بسللوس يتفاخر بأن الدروس المدرسية كانت بالنسبة له كلعبة اطفال لأنه كان يتسلى بها من سهولتها وبراعته في تعلم القراءة في سن مبكرة جدا اذ انه في سن العاشرة كان يمكنه قراءة وشرح الالياذة [54] وكانت والدته هي الدافع والمحفز الذي جعله يواصل تعليمه حتى يتمكن من الحصول على وظيفة تمكنه من تأمين حياته في المستقبل فكان تأثيرها واضحا على مسار حياته العلمية والوظيفية ونجده يعترف بجميل والدته عليه وانه يبقى مدين لها لانها من ساندته على مواصلة تعليمه،[55] وقد جاء في الخطبة الجنائزية التي كتبها بسللوس في رثاءها وهو يقدم اعتذاره لها لانه لم يحقق رغبتها بأن يصبح عالما لاهوتيا كما تمنت هي ويحقق لها تلك الرؤيا التي راودتها في المنام عندما كان بسللوس لايزال صبيا لكنها لم تخبرها به فعلمها من احد اخواله بعد وفاتها فتألم كثيرا فاجزل لها بعبارات مؤثرة ورأى ان امكانيته الادبية كان لابد ان تنفجر ويكتب لها مرثيته الشهيرة. [56] التي شبه فيها اصل والدته بجدولين تدفقا سويا في بحر واحد[57] ويواصل بسللوس مدحه لامه قائلا: وانا اعرف بأنك لست بحاجة لكلماتي الآتية, بينما انت تمتلكين هذا الصمت الذي يفوق الوصف, ولكن سيكون من الجرم بعد ان تعلمت فن البلاغة منك, الا أئتى شيئا ليساهم في وصفك ومديحك. [58]

اما شقيقته الكبرى فقد اثرت به ايما تأثير اذ كانت تكبره بسنوات قليلة وكانت مثل باقي بنات جيلها من الفتيات اللواتي قضين معظم اوقاتهن في التعليم بدراسة الكتاب المقدس والتوراة وكان تعليم الفتيات في تلك الحقبة مقتصرا على الطبقة الارستقراطية واديرة الراهبات ، [59] كذلك كرست الفتيات اوقاتهن في المنزل بتعلم المهارات المنزلية من طهو وتطريز وصنع المنسوجات استعدادا لبيت الزوجية واقتصر خروجهن من المنزل الى الكنيسة للعبادة والصلاة والذهاب الى الحمامات العامة برفقة نساء العائلة, [60] وقد وصف علاقته بأخته بانهما كانا " مثل غصنين نبتا من جذع واحد... وقد اثارت نعمة روحها في داخلي الاحترام لوقت طويل " [61] وكان يكن لها المحبة والاحترام ويرى فيها المثالية التي يجب ان تتميز بها الفتاة الصالحة ففي صفاتها الشبه الكبير بوالدته في الشكل والتقوى الا انها على العكس منها كانت تبدي له الحب والعطف وتعامله بطريقة ودودة في طفولته ولم تتحفظ في مشاعرها تجاهه فكانت تقبله وتحتضنه ويقول:" كانت توجهني للصواب والاعتدال وكانت تخبرني بكل شيء عن رغباتها ونواياها وافعالها" [62] ويبرهن بسللوس عن غزارة فضيلة اخته وحبها لعمل الخير بعد زواجها بأنها جعلت احدى الفتيات من بائعات الهوى ان تهتدي الى طريق الصواب والعفة من خلال نصحها وادانتها لسلوكها الفاحش التي كانت تقتات منه الفتاة لأنها لم تكن تمتلك وسيلة للعيش سوى ممارسة البغاء والفاحشة،[63]

فدعتها بترك هذا السلوك وتعهدت بمساعدتها ووفرت لها احتياجاتها من مأوى وملبس ومأكل وبقيت على هذا الاصرار في رعايتها حتى اصبحت امرأة صالحة على الرغم من الانتقادات التي كانت توجه لها من المقربين منها بترك امر الفتاة ويقول بسللوس:" تعاملت معها باحترام واهتمت باحتياجاتها بكثرة على الرغم من اللوم من النساء ... وقد زينت بجمال الاعتدال وانا شخصيا اعتبرها معتدلة وصادقة, لانها ابقت عينيها منخفضتين وحجبت وجهها بالكامل بتواضع وواظبت على حضور للصلاة في الكنيسة " [64] ، وتعرضت شقيقته بعد ولادتها لطفلها الاول لمرض انهى حياتها وكان بسللوس آنذاك في السادسة عشرة من عمره وقد صدمته حادثة وفاتها المبكرة ويصف حالة الانهيار والحزن الذي اصابه جراء ذلك، فكانت وفاة اخته نقطة تحول كبيرة في حياة العائلة كاملة اذ ترهبت والدته ودخلت الدير واقنعت والده بالترهب وانسحبا الاثنين الى الدير وقضيا بقية حياتهما رهبانا. [65] لكن بسللوس بقي متواصلا مع والديه وخاصة والدته لشدة تعلقه بها واعترافه بولائه لها, [66] فيقول عنها:" اخضعت عاطفة الامومة لقانون اعلى وحكمة اسمى, وبذلك لم اصبح يوما مستقلا بذاتي بل بقيت طوع امرها"[67]

واذا كان بسللوس قد رسم صورة نموذجية ومثالية لحياة المرأة من خلال معايشته لأسرته المتمثلة بأمه وشقيقته فكيف سينقل لنا الصورة المثالية لزوجته التي احتلت ركنا اساسيا في حياته، فالمرأة في فكر بسللوس هي مزيج من جمال الجسد والروح والفضيلة وتكمن اهميتها في الدور الذي تلعبه داخل اسرتها ، فعلى الرغم من الاشارات البسيطة لزوجته في كتاباته ومرثياته الا انه لم يخوض في التفاصيل الحياتية معها حتى انه لم يذكر اسمها الا اننا عثرنا في احدى رسائله التي تبادلها مع صديقه يوحنا ماوروبوس مطران دير اوشايتا، قد وصف السعادة التي يعيش فيها مع زوجته ، فبينما الاخير يبدي لبسللوس رغبته في ترك حياته الدينية في دير اوشايتا والعودة مرة اخرى الى وظيفته في القصر الامبراطوري بعد حين من تركها والعودة الى العيش في العاصمة،[68] ونجد رد بسللوس بنصحه لصديقه بأنه لم يكن يتحمل تلك الحياة في القصر الامبراطوري حينما يبقى الموظف اسير الخوف من فقدان منصبه وان السعادة تكمن في اوشايتا، ويتحول حديث بسللوس بشكل مفاجئ للحديث عن مضمون حياته مع زوجته وراح يناقش امورا تخص شخصه وزوجته ليبرهن لصديقه ان السعادة الحقيقية تكمن فيمن يحيطه من اشخاص وان المكان لايضفي لحياته سعادة وبهجة الا برفقة قرينته فيبدأ بوصف تلك السعادة الاسطورية التي تشاطره زوجته فيها بمشهد رائع فيقول: لقد تغير عندنا نظام الكون، والقمر هنا لايحتل المنطقة السابعة، وانما في الاولى، والزوج المشع والشبيه بالشمس يجلس قربه ، وينعم علينا بنور هادئ، فيا صديقي العزيز ان قمرنا له منظر ومشهد رائع ، انها جالسة بقربي امام ناظري بثيابها الشفافة تخترق الغيوم ببريق يعلن عن جمال روحها الخفي وبتلقائيتها المعتدلة ففي حديثها لباقة وحكمة وليس ثرثرة، تجذبك للاستماع اليها، وفي صمتها رزانة وتنجح في الامساك بزمام بلسانها، ان الكلمات لاتفي بوصفها، انها تشع بهاء وتضج شبابا فتبهرك بجمالها الطبيعي، واذا كانت لديها الرغبة في تغيير الامور الحياتية فإنها تمتنع عن

وضع لمساتها احتراما لرفيقها ، فهي الملاك الحارس الامين الذي طالما يخفف عنا عبئ الحياة وحوادثها السيئة.[69] وينهي حديثه لصديقه ويدعوه ليأتي ويشاهد بنفسه جنة عدن ولينهل من ثمارها وينابيعها واطلب منك حينها لاتفكر في العودة والعيش في اوشايتا، اما بالنسبة لي العيش خارج القسطنطينية ومغادرتها امر مؤلم وهي بمثابة عدم العيش على الاطلاق. [70] قدم لنا بسلليوس من خلال حديثه عن حياته الزوجية مشهدا لحياة هانئة وهادئة وحالة تنبض بالواقعية لرجل يستمتع بمشاهدة زوجته وهي تكشف جزءا من جسدها بملابسها الشفافة وفي ذلك المشهد يرى بسلليوس ان المرأة ليست فقط مجرد انثى لاثارة الاحاسيس والمشاعر والغرائز عند الزوج بقدر ما تتسم به من الرزانة والفضيلة والحياء فالمرأة التي يصفها نموذج ترسخ في فكره عن المرأة فهي مراعية لأحاسيس زوجها وتذهب عنه هموم الحياة وان تغمره بالسعادة في داخل المنزل وتشاركه اهتماماته ومشاكله وان تكون راعية في بيتها محبة لأسرتها متفانية وان هذه الميزات التي تمتعت بها زوجته هي المثالية بعينها للمرأة الصالحة والتي تجسدت في صفات والدته ثيودتي وسلوكها مع والده، ذلك من شدة تأثره بصفات والدته ولكن شاء القدر ان تنقلب حياة بسللوس وزوجته رأسا على عقب بعد حادث وفاة ابنتهما ستيلياني والحزن العميق الذي اعتراهما واعتبرها بسللوس كارثة حلت بهما ومن جرائها اعتزلت زوجته الحياة وانفصلت عنه وقضت بقية حياتها راهبة في الدير كما فعلت والدته ثيودتي سابقا. [71]

وقدم بسللوس من خلال مرثيته لوفاة ابنته الصغيرة ستيلياني ذات الاعوام الثمانية التي توفيت نتيجة اصابتها بمرض الجدري لوحة بالغ في مثاليتها لشخصية فتاة يرى فيها الكمال الانثوي،[72] فيصفها بأنها كانت شديدة الحياء والورع وحب الخير فهي على الرغم من نشأتها وسط حشد من المربيات والمرضعات كانت ودودة ومتواضعة فنالت محبة والديها وقد عاشت طفولتها كبقية اقرانها من الفتيات في اللعب واللهو واشرفت امها على حسن تربيتها وفي ظل هذه العناية الفائقة اصبحت فتاة مهذبة وتنبأ لها والدها بمستقبل مشرق, [73] ففي السادسة من عمرها تحسن لفظها ونطقها للكلمات وبدأت بتلقي التعليم بما يليق بأطفال الاسر الثرية وكانت متعطشة للتعليم والدراسة وتفوقت على اقرانها من شدة ذكائها وفطنتها المبكرة وقد كان بسللوس حريصا على تعليمها وكان يرى فيها نفسه من حدة ذكائها وسرعة تعلمها فهي في معظم صفاتها يشبهها بجدتها الورعة ثيودتي فكانت ملازمة للبيت كأغلب الفتيات اللواتي قضين معظم اوقاتهن في منزل الاسرة بعيدا عن الاخطار التي ربما تهدد عذريتهن،[74] واظهرت مهارة بالغة في الفنون البيتية من نسج وتطريز وطهو حتى تفوقت على امها في هذا المجال وسرعان ماتعلمت الابجدية اليونانية وهي في السادسة،[75] واحتلت العبادة ركنا هاما من حياتها اليومية فقرأت الكتاب المقدس حتى فاقت اقرانها وقد لازمت على الحضور للصلاة في الكنيسة وكانت تستمع للاناشيد وتحفظ مزامير داود الصباح والمساء, [76] فقد وجد فيها اباها رغم المبالغة في مدحها وهي بالتأكيد نابعة من حب بسللوس لابنته في مرثيته ان يرد لها كل خصال ومزايا الكمال الانثوي الذي كان يجول في فكره كالورع

والرزانة والبراعة في الفنون البيتية لتأهيلها للحياة الزوجية وهو الهدف الاسمى لحياة الانثى.[77] ووصفها بانها كانت تقية ونقية وتحب اباها وتلاطفه وتحب الجلوس الى جانبه فكان فخورا بها وكانت اماله تكبر مع ازدياد جمالها وتألقها وبدأ يفكر في تزويجها من احدى الشخصيات البارزة في القسطنطينية الا ان الزواج لم يكن ضمن اهتماماتها لان شخصيتها ولياقتها لم تفسد بالتفكير في الفتية ولم تفسد وجهها بوضع مساحيق التجميل, [78] لانها تربت وفق الاسس التي كان يؤمن بها بسللوس كأي رجل بيزنطي في التربية المقيدة التي فرضتها نواميس المجتمع انذاك، [79] وبعد وفاة ستيلياني اعترى الحزن والاسى ميخائيل بسلليوس بعد وفاة ابنته ستيلياني ولم يكن لميخائيل ابناء اخرين سواها فكانت هي وحيدته فتأثر كثيرا لفراقها، ولكي يخرج من حزنه هذا اقدم على تبني طفلة صغيرة اسماها ستيلياني على اسم ابنته المتوفاة أحياء لذكراها وليواسي نفسه ويواري حزنه بتربيتها. [80]

صورة المرأة الحاكمة عند ميخائيل بسللوس

من خلال ماتقدم من رؤية بسلليوس للمرأة وبمقارنة ماكتبه في حوليته حول حكم الامبراطورة زوي(419-442هـ/1028-1050م) تلك الشخصية المتناقضة والتي طالما اثارت الجدل في المجتمع البيزنطي ويطلعنا بسللوس في كتابه التاريخ الزمني عن كثير من جوانب هذه الشخصية المستهترة العابثة المزواجة،[81] اذ كان بسلليوس معاصرا لها ومطلعا على مجريات امور الحكم في القصر من خلال وظيفته في البلاط الامبراطوري فنجده ينتقد سلوك زوي الامبراطورة العجوز المتصابية التي اخذت تتصرف وكأنها فتاة في العشرين وهي التي تجاوزت سن الخمسين فلم تكن تعترف بسنها وكانت متحررة وغير مبالية للمثل العليا التي تتحلى بها المرأة البيزنطية سيما وانها امبراطورة حاكمة سليلة اسرة عريقة هي الاسرة المقدونية التي حكمت ما يناهز قرنين من الزمان فقد كانت اكثر نساء المجتمع البيزنطي تحررا وانحلالا ولم تكن تبالي للتقاليد ولا للتشريعات السائدة وكانت بالمعنى الاصح امرأة لعوب فهي لم تكن مخلصة للحياة الزوجية ولم تقدس رابطة الزواج بينهما وانتقد بسلليوس زوي وخروجها عن المألوف من طبيعة للمرأة التي تصون نفسها من سخرية المجتمع وعرضت نفسها للخزي ببعض الممارسات الخرافية عندما اعتادت على اللجوء الى السحرة والمشعوذين وانقادت لهؤلاء بكل اصرار لرغبتها الشديدة في انجاب طفل واتبعت عدة طرق نصحها اولئك السحرة باتباعها من شد الحصى على بطنها وارتدائها للتعاويذ والتمائم،[82]

وقد نفرت من زوجها وكرهته لأنه كان مسنا وكهلا ولأنه انقطع عن المعاشرة الزوجية معها فلم يكن بمقدوره اشباع رغباتها الجنسية بالكامل،[83] فوجدت فرصتها للخيانة الزوجية مع أحد الخدام في القصر وهو شاب وسيم بهي الطلعة يدعى ميخائيل البافلاجوني فأغرمت به [84] واتخذته عشيقا الى جانب زوجها وراحت ترتكب الفواحش معه جهارا نهارا ولم تلتزم بحياء الزوجة المخلصة لزوجها كما ينبغي وهي

التي تجاوزت سن الصبا والغرام كما يذكر بسلليوس،[85] وكانت علاقتها الغرامية على مرأى ومسمع من الجميع في العاصمة وحتى زوجها الامبراطور رومانوس اصم اذنيه واغمض عينيه امام كل من نصحه من المقربين وخاصة شقيقته بوليشاريا التي كانت تقيم معه وتعلم بما يدور في اروقة القصر،[86] حتى كانت الفاجعة الكبرى عندما اشتركت هي وعشيقها بمؤامرة اغتياله وتنصيب ميخائيل البافلاجوني امبراطورا،[87] وانها تناست انوثتها ومكانتها كامبراطورة ولم تسيطر على انفعالاتها وكان الاجدر بها ان تبقى في عزلتها وان تتصرف كأمرأة محافظة،[88] وكان ميخائيل قد قرر اللجوء الى الدير والترهب والانعزال عن الحياة وترك امور السلطة نادما لانه كان يشعر بمرارة الخطيئة التي ارتكبها مع زوي،[89] بينما يثني عليها في رواية اخرى يبدي بسللوس اعجابه بزوي في ابتعادهاعن سمات النساء البغيضة في الثرثرة والسيطرة على انفعالاتها كسيدة مجتمع عندما قرر زوجها ميخائيل الرابع تحديد اقامتها في القصر ومنع الزيارات عنها الا انها لم تبد اي تذمر وتأقلمت في العزلة المفروضة عليها.[90]

وعند زواج الامبراطورة زوي من قسطنطين التاسع مونوماخوس فأنه سرعان ما هجرها واطلق لرغبته العنان بمصاحبة النساء وارتكاب الفواحش وتبديد الاموال ،[91] وقد احضر عشيقتته سكليرينا الى القصر وعاش معها بطريقة اثمة لكن زوي لم تبد معارضتها له بل كانت متسامحة معهما ووافقت على منح عشيقة زوجها رتبة الشريفة واصبحت تظهر مع العائلة الامبراطورية في المناسبات العامة واقامت في القصر وفي الجناح الامبراطوري المخصص للامبراطور وزوجته، [92] ولما توفيت سكليرينا حزن قسطنطين حزنا شديدا عليها، لكنه بعد فترة وجيزة اتخذ خليلة اخرى له وعاشت معه في القصر،[93] ويبدي بسللليوس غرابته من طريقة تقبل الامبراطورة للأمر والسماح لزوجها بمعاشرة امرأة اخرى بصورة غير شرعية فهي عنده بعيدة عن المثالية والخصال الحميدة للمرأة الصالحة التي التمسها من النساء لاسيما نساء بيته والاخريات ممن صادفهن من نساء القصور، لكن بسللليوس منح زوي العذر لهذا التراخي بانها اصبحت امرأة كهلة قد ناهزت السبعين عاما فلم تعد تشعر بالغيرة على زوجها ، [94]بينما نجده يثني على شقيقتها وشريكتها في العرش الامبراطورة ثيودورا التي اعتزلت الحياة الدنيوية وانسحبت الى دير الباترون في ضواحي القسطنطينة مذ تسلم زوي السلطة الامبراطورية مع زوجها رومانوس الثالث وذلك انها لاتتوافق مع زوي بسبب سلوكها وسوء تصرفها فهما مختلفات في الطباع منذ صباهما ووجد بسللليس في ثيودورا المرأة النقية المتدينة والملتزمة التي تتصرف بحكمة ومتوازنة في اتخاذ القرار وهي عقلانية اكثر من شقيقتها الكبرى زوي وقد اثرت بها الحياة الديرية التي عاشت فيها ولم تتخلى عن تنسكها حتى عندما اندفعت اليها حشود الثورة التي قامت في القسطنطينية،[95] الدير والالتحاق بالقصر وتسلم الحكم فإنها رفضت الجلوس غلى العرش لانها لم تكن ترغب بالسلطة وقد اختارها الشعب في القسطنطينية امبراطورة وجلست على العرش الى جانب شقيقتها، ويذكر بسللوس ان ثيودورا رغم خلافها الطويل مع زوي الا انها وقفت الى جانبها في محنتها وساعدتها في استعادة العرش وتخليصها من

البافلاجونيين الطارئين على الحكم وتم اخماد الثورة من خلالها علاوة على ذلك ان ثيودورا لم تفقد احترامها لأختها زوي لانها كانت تتصرف بحكمة وقد راعت كبر سنها ولما توفي الامبراطور قسطنطين التاسع سنة 447هـ/1055م وتسلمت ثيودورا الحكم وهذه المرة بمفردها فانها ابدت حزما وعدلا في حكمها ولانها كما يرى بسللوس ليست لها القدرة الكافية لادارة الامبراطورية البيزنطية لانها لم يكن لها دراية بشؤون الحكم لهذا لم تكن تؤمن بارائها الخاصة واتخذت مستشارين لمساندتها،[96] ووصفها بانها كانت كالزهرة في نقائها وصفائها وازدهرت من جديد عندما اخذت مقاليد الحكم وكان بسللوس مقربا منها ويعرفها عن كثب وقد استعانت به عندما الت اليها السلطة بعد سنة447هـ/ 1055م فطلبت منه ان يترك حياة الدير والالتحاق بوظيفته في البلاط وقد وافقها الرأي والتحق بالبلاط وباشر بوظيفته،[97] وكتب لها خطبة وصفها بملكة الفضائل لأعجابه بسلوكها وحكمتها خاصة بعد ان ظلت متمسكة برهبانيتها،[98] ، وقد تمكنت من ادارة دفة الحكم دون الارتباط بزوج كما فعلت اختها زوي بزيجاتها المتعددة والمتعثرة لاسيما وانها بلغت من العمر عتيا حتى توفيت على ذلك سنة448هـ/ 1056م. [99]

وتجدر الاشارة ان النموذج الانثوي المثالي للمرأة في فكر بسللیوس والذي تجسد في نساء بيته تكرر في مديحه وثنائه لبعض من نساء السلطة الامبراطورية الحاكمة اللائي اتصفن بالاخلاق الرفيعة والتزمن بالمثل العليا سواء في البيت والحياة العامة فهو يشير في مرثيته لايريني بيجونيتيسا زوجة القيصر يوحنا دوكاس شقيق الامبراطور قسطنطين العاشر، ويشيد بزواجهما المثالي فقد وصلا عند بسللوس الى غاية المثالية فهما متكافئان في الاصل النبيل فأيريني والداها من اسرة بيزنطية عريقة اهتما بتربيتها ونشأتها الصالحة وبزواجها في سن مبكرة بمجرد تخطيها سن البلوغ [100] " لانها ما ان ولدت، يجب ان لا تكون كالكرمة خالية من الثمار،ولا تصبح مجدبة او عقيمة ، ولا ان تعود للجذور التي انطلقت منها دون ان تترك بصمتها في الحياة لبداية ميلاد جديد"،[101] وكان يوحنا جديرا بالزواج منها فقد كان قائد كفؤا شجاعا وضليعا بشؤون الحرب والسياسة فلم يكن هناك احدا اجدر من يوحنا دوكاس بالزواج من ايريني اما فضيلة ايريني الاساسية فقد كانت تكمن في حيائها الشديد فهي لم تكن تظهر امام الرجال والنساء على حد سواء، ولشدة خجلها وحيائها من زوجها عندما تقترب منه كأنها تراه لأول مرة، وكانت ايريني تتميز عن باقي النساء بصوتها المنخفض والهادئ الناتج عن الحياء حتى في ضحكتها التي لا تصل الى حد القهقهة، والى جانب الحياء كانت ايريني تتمتع بجمال وافر اخاذ فقد كانت بشرتها بيضاء تشع نضارة وبهاء ممشوقة القوام واحفادها تربية صالحة ، وكان بسللیوس يرى في صفاتها وخصالها النابعة من حسن خلقها ورزانتها بانها كانت احكم من الراهبات اللواتي كرسن حياتهن للعبادة في الانقطاع عن العالم بقوله: " كانت ايريني احكم من الراهبات، لانهن اذا كن قد امتنعن عن العلاقات الجسدية ، فأن نفوسهن لم تكن خالية تماما من الرغبات، اما هي، فلانها تزوجت زواجا شرعيا ومباركا من اهلها، كانت عذراء من العلاقات الاخرى، جسدا وروحا".[102] لذلك يمكن القول ان النموذج المثالي للمرأة في فكر

بسلليوس قد تجسد في شخصية ايريني وهي ليس من اسرته ولاتمت لعائلته بصلة لكنه رأى في حيائها البالغ وطهارتها وصمتها امام زوجها وهدوئها واحترامها له هي النموذج الذي لا يدعو له فحسب بل يحتذى به من نساء القصور.

اما الامبراطورة ايودوكيا زوجة قسطنطين العاشر دوكاس(451-460هـ/1059-1067م) فقد اشاد بها بسللوس لان زوجها الامبراطور قد عهد اليها بالعرش الامبراطوري قبيل وفاته ويرى فيها " انها كانت أحكم امرأة في عصرها واعتقد أنه لا يوجد من هو أفضل منها تربية أبنائه وبناته" [103] فهي على الرغم من تحملها اعباء الحكم بعد وفاة زوجها الا انها لم تهمل واجباتها كأم تجاه ابنائها والعناية بهم وقد اعجب بسللوس بحسن تربيتها لهم من خلال وصفه لميخائيل الذي تجاوز مرحلة الصبا فقد كان يحضر مجالس الامبراطورة ليتدرب على شؤون الحكم في المستقبل فكان من حسن تربيته وهو شاب لايتحدث بحضور والدته احتراما لها ويلتزم الصمت كما لوكان عاجزا عن الكلام وفي كثير من الاوقات كانت تثني عليه وتعرب عن فخرها بما يقوم به من اعمال فكانت تبني له شخصية مستقلة،[104] ويرى بسللوس ان ايودوكيا كانت امرأة حكيمة وذات كفاءة عالية وسلوكها يتسم بالتواضع ولم تسرف في زيها او في تسيير المواكب كباقي الامبراطورات فيقول: " لا اعرف ما اذا كانت هناك امرأة اخرى قدمت مثالا للحكمة مثل ايودوكيا"[105] ولما كان بسللوس مقربا من عائلة دوكاس رافقها ذات يوم الى الكنيسة ودعا لها في صلاته ان تبقى على العرش فلم يعجبها دعائه واجابته : "آمل ألا يكون قدري للاستمتاع بالسلطة لفترة طويلة حتى وان كنت الإمبراطورة." [106] وقد يرى ميخائيل بسللوس ان ايودوكيا نموذج مثالي للمرأة الحاكمة لانه نعتها بالمرأة الحكيمة والمربية الفاضلة واثنى عليها على الرغم من استهجانه لزواجها الثاني واقدامها على الزواج من القائد العسكري المحنك رومانوس الرابع ديوجينس[107] وعلى الرغم من موقفه الرافض لزواج الامبراطورة ايدوكيا الا انه بقي مخلصا لها وظل يثني على صفاتها وسلوكها كامرأة حاكمة ملتزمة حدودها. [108]

بعد جلوس ميخائيل السابع على العرش البيزنطي (463-471هـ/1071-1078م) [109] تزوج من الاميرة الجورجية الفاتنة ماريا الالانية ،[110] ولما كان بسللوس كما مر بنا مقربا من الامبراطور ميخائيل السابع وكان الاخير تلميذه ويكن له المودة والاحترام ويؤكد بسللوس في معرض حديثه عن ميخائيل السابع فيقول " لم يحظ احدا من اخوته بثقته كما حظيت"،[111] فكان مطلعا بشكل مباشر على تفاصيل الحياة الاجتماعية للاسرة الامبراطورية وكان بسللوس من المنبهرين بجمال مارية وادبها وسلوكها ويرى فيها انها النموذج المثالي للانثى فبعد ان ذكر امجاد عائلتها ذات الجذور العريقة فانه يثني على تربيتها الصالحة من قبل والديها وأتسامها بالحياء والخجل الشديدين الذي جبلت عليهما فيذكر ان مارية لم تتحدث مع احد سوى زوجها وعندما تتحدث تحمر وجنتاها خجلا وتضفي جمالا الى جمال صورتها فيقول:" اذا كان الشاعر التراجيدي يقول ان الصمت هو مجد المرأة فان مارية تستحق الشرف قبل كل

النساء الاخريات " [112] وقد انجبت له ابنا هو قسطنطين وكان زوجها الامبراطور يحبها لجمالها وحيائها ويرى فيها الزوجة الصالحة لتفانيها في تربية وتأديب طفلها والاهتمام بتعليمه[113]، وهي اعطت بذلك الصورة النمطية للمرأة البيزنطية والمتمثلة بالزوجة الحريصة على طاعة زوجها والمؤتمنة على بيتها وابنائها والذي يراها بسللوس من فضائل المرأة المثالية في مخيلته[114] وقد ذكرت الاميرة انا كومنينا عن مدى تعلقها بمارية واعجابها بالهدوء والرزانة التي تميزت بها عن باقي النساء" كان جمال الامبراطورة – مارية – والرقة التي طبعت عليها والجاذبية التي وهبها الله لها مما يقصر الوصف عن الاحاطة به، كما تعجز عن تصويرها براعة الفنان الحاذق"[115] وقد توفي ميخائيل بسللوس في نهاية عهد الامبراطور ميخائيل السابع 1078م ولم يدرك الاحداث اللاحقة التي تمثلت بعزل ميخائيل السابع وتنحيه عن العرش ولجوئه الى الدير وزواج مارية من الامبراطور نقفور بوتنياتس لتصبح امبراطورة للمرة الثانية. [116]

الخاتمة

- قدم بسللوس العديد من الشخصيات النسائية في كتاباته ولوحظ من خلال اعماله الادبية والتاريخية انه يقدم دفاعاته لصالح المساواة بين المرأة والرجل فيما يتعلق بقدرتهن على تحقيق الفضيلة وتكريس نشاطاتهن لعمل الخير والتقرب الى الله فركز بسللوس على السمات الشخصية بصورة خاصة واعطى معلومات مفصلة عن الحياة الاجتماعية في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد في بيزنطة.

- اظهر بسللوس في مرثياته عاطفة شديدة تجاه اسرته لاسيما امه واخته وابنته ستيلياني وزوجته مما يبن لنا مدى تأثير نساء بيته بتغيير الصورة النمطية للرجل البيزنطي ونظرته للمرأة باتجاه انصاف المرأة لذلك أحتلت المرأة جانبا فكريا وانسانيا في حياته .

- انحيازه للمرأة لاسيما في مسألة التعليم ومساواتها مع الرجل على حد سواء في نيل الثقافة والعلم.

- تعاطفه مع بعض نساء السلطة وسيدات القصر الملكي لاسيما اللواتي عاصرهن وتعرف على صفاتهن عن قرب فأثنى على ما أتصفن به من الفضيلة والصلاح والرزانة.

(1) Psellus,Michael,Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia,Trans,by:R.R.Sweter,New York Penguine,1966,p4

(2) جبل اوليمبوس او جبل الرهبان من اشهر الجبال في بلاد اليونان يقع في بثينيا يمتد من سهل بروسا حتى بحر مرمرة وكان لهذا الجبل اهميته التاريخية والدينية عند الاغريق منذ العصور القديمة اذ كان مركزا لعبادة الالهة ثم ازدادت اهميته بعد انتشار الديانة النصرانية فشيدت على منحدراته الاديرة والصوامع واصبح يشكل مركزا رهبانيا مقدسا لدى النصارى وضم اكثر من خمسن ديرا.للمزيد ينظر:هسي،جون، العالم البيزنطي ،ترجمة وتعليق: رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر 1997،ص256 ؛ The Oxford Dictionary Byzantium,Oxford yniversity press,New York 1991,p1525

[3] (3)juffry,M.and Lauxtermann.M, The Letters of Psellos Cultural Networks and Historical Realities ,Oxford University Press 2017,P.3

(4) عبد الحميد، رأفت، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر 1997،ص266

(5) Psellus, Chronographia.p.13-14; Kaldellis,Anthony,Mother and Sons,Fathers and Daughters,The Byzantine family of Michael Psellos,edited and translated by Kaldellis Anthony,university of Notre Dame(2006)p.60

(6) يوحنا موروبوس البافلاجوني الاصل قدم الى القسطنطينية في عمر باكر وكان من المثقفين والمهتمين بالتعليم عمل مدرسا للفلسفة وتتلمذ على يده ثلاثة من اهم الشخصيات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية في القرن الحادي عشر وقد كان التلاميذ الثلاثة ميخائيل بسللوس وقسطنطين دوكاس الذي اصبح امبراطورا وقسطنطين ليكابيوس الذي اصبح وزيرا رائدا وكان جون موروبوس مصدر الهام لهؤلاء الاصدقاء الثلاثة في الدراسة والتميز، وكان موروبوس خطيبا جريئا وناصحا للامبراطور قسطنطين التاسع من خلال خطاباته السياسية المؤثرة وقد تم تعيينه مطرانا لدير اوشايتا خلال الفترة (1050–1075)ثم انسحب بعد هذا التاريخ الى دير برودروموس في القسطنطينية حتى وفاته 1081م . Mauropus, John, The Letters of John Mauropous Metropolitan of Euchaita,trans,A.Karpozilos,,CFGB39,Thessalonike1990.pp.11,14,97,101; Psellus,op.cit.p.13-14

(7)Kaldellis, op.cit.p.3.

(8) يوحنا اكسفيلينيوس: من ابرز رجال القانون في الامبراطورية البيزنطية وكانت تربطه بميخائيل بسللوس صداقة حميمة، تم اختياره من قبل الامبراطور رئيسا لكلية القانون في جامعة القسطنطينية سنة 1045م، لكنه بعد فترة وجيزة اعتزل العمل وفضل الحياة الرهبانية واستقرت حياته في الدير رغبة منه، ومن ثم تم اختياره لمنصب البطريركية في العاصمة القسطنطينية سنة 1064م توفي سنة 1075م. نيكول، دونالد، معجم التراجم، ترجمة وتعليق، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003، ص62

(9) رومانوس الثالث ارجيروس: الامبراطور البيزنطي الذي جلس على العرش من خلال زواجه بالامبراطورة زوي المقدونية واستمر في الحكم ست سنوات ثم اغتيل على يد زوجته الامبراطورة زوي، ابن الاثير، محمد بن عبدالكريم الشيباني،الكامل في التاريخ, راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق, ط4 ,دار الكتب العلمية بيروت2003،ج4،ص251؛ Stephenson,Paul,The Byzantine World,London 2010 ,P.76.

(10) Psellus, Chronographia.p.60

(11) ميخائيل الخامس: هو ابن اخت الامبراطور ميخائيل الرابع زوج الامبراطورة المقدونية زوي وقد تبنى الاثنان ميخائيل واصبح وريثا للعرش وهو من العائلة البافلاجونية كان يعمل والده في ترميم السفن في الميناء وعرف ميخائيل لدى المؤرخين بلقب القلفات نسبة لعمل والده وحكم الامبراطورية لمدة سنة ثم ثارشعب القسطنطينية ضده بسبب نفيه الامبراطورة زوي الورثة الشرعية للعرش وانتهى حكمه بسمل عينيه وسجنه في الدير. للمزيد ينظر:

Synopsis of Byzantine History 811-1057,Translated by JohnWortly,with .Skylitzes,John,A Introductions by Jean-Claude,Cambridge University Press,2010,p391-3

(12)Cambridge,Medieval,Historyt,V.1VTheByzantineEmpire,Part1,Cambridge University Press,2017,p.446

(13)Collisson,Marcus,Micael Psellus on the Operation of Daemons,introduct-ion by Stephen Skinner,Golden Hoard press 2010,p.7

(14)Watts,E. ,"Justinan,Malalas,and the end of Athenian philosophical Teaching in A.D.529" JRS94(2004),PP186-182

(15)Vladimirou, Andrew, Michael Psellos and Byzantine Astrology in the Eleventh Century, A Journal of the History of Astrology and Cultural Astronomy Vol. 13 no. 1, Spring/Summer 2009,p.1

(16) قسطنطين التاسع مونوماخوس: تولى عرش الامبراطورية من خلال زواجه بوريثة العرش البيزنطي الامبراطورة زوي المقدونية واصبح امبراطورا مشاركا لزوي وشقيقتها ثيودورا، ويرجع له الفضل في اعادة احياء جامعة القسطنطينية والاهتمام بالعلماء والفلاسفة وشهدت القسطنطينية على عهده نهضة فكرية وعلمية واسعة. هسي، العالم البيزنطي،ص139

(17) الامبراطورة ثيودورا ابنة قسطنطين الثامن تسنمت العرش بعد وفاة قسطنطين التاسع وكانت مدة حكمها قصيرة وهي اخر من تبقى من الاسرة المقدونية وبوفاتها انتهى عصر الاسرة المقدونية 448هـ/1056م.للمزيد ينظر:

Mullet,Margaret, Female Founders in Byzantium and Beyondn,Vienna 2012.p173,

(18) يذكر سكايليتز ان السفارة التي اوفدهاالامبراطور ميخائيل السادس ضمت كل من برويدروس ثيودور وقسطنطين ليكوديوس وميخائيل بسللوس وقد سماه سكايليتز بأسمه الاصلي(قسطنطين) واطلق عليه لقب قنصل الفلاسفة " وقد بدا ان هؤلاء الثلاثة متفوقون على الرجال الاخرين في ذلك الوقت في الحكمة والبلاغة وخاصة بسللوس".

Skylitzes.op.cit.p.61-2

(19) Psellus, Chronographia.p.225

(20) عمران، محمود سعيد، الامبراطور رومانوس ديوجينس في ضوء حولية ميخائيل بسللوس ، بحث منشور كلية الاداب جامعة الاسكندرية 1980ص58

(21) عبدالله ، محمد زايد، مصادر تاريخ العصور الوسطى(التاريخ البيزنطي) ،مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة 2015، ص52

(22) رمضان, عبد العزيز، المرأة والمجتمع في الامبراطورية البيزنطية, القاهرة–2005، ص31

(23)A, Kazhdan,Women at Home,Dop52,1998,p.109

(24) Bréhier, Louis, La civilisation byzantine, Éditions Albin Michel, Paris, 1950,p17

(25)Kalavrezou,I,Byzantine Women and their World,New Haven,Yale Univeraity press,(2003),p146

(26) رمضان ,ص67,

(27) الامبراطور ثيوفيل الثالث هو الامبراطور الثاني في سلسلة اباطرة الاسرة العمورية التي حكمت بيزنطة وقد عرف عنه بميله الشديد للثقافة والادب واظهر اعجابه بالثقافة العربية وكان من المشجعين لحركة احياء العلوم وخاصة في جامعة القسطنطينية. نيكول، معجم التراجم،ص101-2

(28) Bréhier,op.cit.p.16-17

(29) انا كومنينا: الابنة الكبرى للامبراطور الكسيوس الاول كومنين ولدت سنة 1108 والدتها الامبراطورة ايرين دوكاس، كانت ذات ثقافة عالية وشخصية نسائية فريدة تزوجت من نقفور برينيوس ودخلت في صراع مع شقيقها يوحنا الثاني لاثبات حقها في العرش وانتهى بها المطاف منفية في الدير وهناك كتبت تاريخ بيزنطة في عصر الكسيوس الاول المسمى الالكسياد، توفيت سنة سنة 1148م ودفنت في نفس الدير . الاكسياد،.ص9،26

(30) انا كومنينا، الالكسياد،ص149

(31) الالكسياد،ص87

(32) Hill .B " Imperial Women and The Ideology of Womanhood in the Eleventh and twelfth Centuries "In Weomen Men Eumchs : Gender in Byzantinth ed L James New York 1997 pp 76-99

(33)Denis,w.What did Michael Psellos Say About Women in the 11th Century AD?p2

(34)Barber,Charles & J.David, Reading Michael Psellos,Brill,Leiden, Boston 2006.p154

(35)Kaldellis,op.cit,p.30

(36)Michael Psellos:the Encomium of His Mother trans:Jeffrey Walker, ,Whetoric& Writing,University of Texas 2005,p21

(37)Kaldellis,op.cit,pp.25-30

(38)Kaldellis,op.cit,pp.25-30;

(39) Kaldellis,op.cit.p.24

(40) Psellus,Encomium of his mother,pp.23,85,86

(41) Bréhier,op.cit.p.21

(42) Kaldellis,op.cit,p65

(43)Psellus,Encomium of his mother,p.101

(44) Kaldellis,op.cit,p65

(45) Kaldellis,op.cit,p65

(46) Psellus,Encomium of his mother,p.22

(47) Psellus,Encomium of his mother,pp.22-23

(48) Psellus,Encomium of his mother,p.23

(49) من الملاحظ ان بسللوس لم يذكر اسم والده في كل كتاباته ولكنه استأر بذكر اخلاقه وفضائله. للمزيد ينظر: Kaldellis,op.cit.p.30

(50) Kaldellis,op.cit,p.67-8

(51) Kaldellis,op.cit,p.60

(52) Kaldellis,op.cit,p.3
(53)Kaldellis,op.cit,p.68
(54) Kaldellis,op.cit,p.3
(55) Kaldellis,op.cit,p.52
(56) Kaldellis,op.cit,p 24-5
(57) Psellus,Encomium of his mother,pp.11,14؛ Kaldellis,op.cit,p.60
(58)Psellus,Encomium of his mother,p.41
(59) Herrin, Judith,Woman and Empire in Byzantum, Paris 2013 ,p.76
(60) رمضان المرأة والمجتمع،ص136
(61) Kaldellis,op.cit,p.73
(62) Kaldellis,op.cit,p.73
(63)Papaionnou,Staratis,Michael Psellos Rhetoric and Authorship in Byzantium,Cambridge Univercity Press 2013,p.118.
(64)Kaldellis,op.cit,p74
(65) Kaldellis,op.cit,pp75-8
(66) Psellus,Encomium of his mother,pp.23,26,28,90,92
(67)Psellus,Encomium of his mother,p.101
(68) Psellus,The Letters of Psellos, Edited by Michael Jeffreys& Marcd Lauxtermann, Oxfurd University press 2017,p123
(69) Psellus,The Letters,p124
(70) Psellus,The Letters,p.125
(71) Kaldellis,op.cit,p.75-8
(72)Kaldellis,op.cit,p.111
(73)Kaldellis,op.cit,pp.118,128
(74) Kekaumenos,p.54
(34) Leroy-Molinghen,Stylyane,p157
(76)Kaldellis,op.cit,p.128
(77) رمضان ، المرأة والمجتمع،ص138
(78) Kyriakis,M.J."Medieval Europen Society as seen in two 11th Century Texts of Michael Psellos",BS EB 4/2(1977)157-60; Leroy –Molinghem A. " Styliane" .B 39(1969) 155-63
(79) رمضان,المرأة والمجتمع، ص63
(80) Leroy-Molinghen,Stylyane,p157
(81) عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة،ص260
43)Psellus,Chronographia,p65;Zonaras,EpitomeHistoriaoum,III,ed.T.Butter-Wobest,CSHB,Bonn,1897.p197
(83)Psellus, Chronographia,p.54

(84)Attaleiates,op,cit,p.28

(85)Psellus, Chronographia,pp.54-6

(86),Psellus, Chronographia, p.55

(87)Psellus, Chronographia, ,p.59

(88)Psellus, Chronographia, ,p.59

(89)Psellus, Chronographia,p.56

(90)Psellus, Chronographia ,p.65.

(91)ostrogorsky,337

(92) Psellus, Chronographia ,p.121; Zonaras,III, pp.618-19

(93)Psellus, Chronographia,p.125

(94)Psellus, Chronographia ,p.124.

(95)Psellus, Chronographia,p.94

(96)Psellus, Chronographia ,p.181

(97)Psellus, Chronographia,p.182

(98)Papaionnu,op,cit,p.215

(99)Psellus, Chronographia, p.185

(100) رمضان، المرأة والمجتمع،ص170

(101) Psellos, M. , Michaelis Pselli Scripta Minora, Magnam adhuc Inedta Milan,1936,I,p-89 من خلال كتاب المرأة والمجتمع البيزنطي، عبد العزيز رمضان 155 .

(102)Ibid,I,181

(103) Psellus,Chronographia,p.233

(104) Psellus,Chronographia,p.235

(105) Psellus,Chronographia,p.236

(106) Psellus,Chronographia,p.236

(107) رومانوس الرابع ديوجين: من الشخصيات العسكرية البارزة في بيزنطة تزوج من الامبراطورة ايودوكيا وجلس على عرش الامبراطورية لمدة اربع سنوات ولكن بعد هزيمة الجيش البيزنطي في ملاذكرد تم اقصائه وسملت عيناه ونفي الى الدير . Psellos.p.280

(108) عمران, رومانوس الرابع، ص58

(109) ميخائيل السابع دوكاس: تولى حكم الامبراطورية كوريث لعائلة دوكاس للعرش بعد اقصاء رومانس الرابع وتتلمذ ميخائيل على يد ميخائيل بسللوس وكان مقربا منه وصديق لوالده الامبراطور قسطنطين العاشر، في نهاية حكمه انسحب الى الدير واصبح راهبا وبقي فيه حتى توفي سنة 483هـ/1090م.نيكول، معجم التراجم،ص 157–8

(110) مارية الالانية هي ابنة باغرات ملك جورجيا قدمت الى القسطنطينية وهي طفلة في سن الثالثة وكان من عادات الملوك ارسال ابنائهم الى القسطنطينية ويقيمون في البلاط لتعزيز الاواصر بين الطرفين وقد عادت مارية الى بلادها بعد وفاة الامبراطورة ثيودورا 1056 , وبعد ان اصبح ميخائيل السابع امبراطورا تمت خطبتها له وقدمت الى

القسطنطينة للمرة الثانية كعروس للامبراطور في 1072للمزيد ينظر Vinning, Timothy, Achronology of Byzantine Empire,introduction,Jonathan Harris,Lodon2006.p430 ؛ الجنزوري، علية عبد السميع، المرأة ،ص92

(111)Psellus,Chronographia, p.224

(112) Psellus,Chronographia.p.224

(113) وقد ذكرت المؤرخة الاميرة انا كومنينا ان مارية كانت شديدة التعلق بابنها قسطنطين وان رابطة الامومة هي التي حفزت عندها فكرة البقاء في القصر وجعلتها صبورة وتحملت الاذى من المقربين بعد رحيل الامبراطور ميخائيل السابع والشائعات التي طالتها باتهامها بالزواج من احد الاخوين اسحاق والكسيوس كومنين. الالكسياد، ص131

(114) Psellus,Chronographia.p.224

(115) وكان من المؤمل زواج قسطنطين من الاميرة انا كومنينا للعلاقة المتينة التي كانت تربط بين انا وماريا الالانية فأنا كومنينا كانت تقضي معظم وقتها في منزل ماريا منذ طفولتها وكانت مخطوبة لقسطنطين دوكاس ابن مارية الا انه توفي قبل اتمام الزواج. للمزيد ينظر :انا كومنينا, الالكسياد,ص14،135

(116) Gargalnd,op.cit.p.182

المصادر والمراجع الاجنبية

1. Mauropus, John, The Letters of John Mauropous Metropolitan of Euchaita,trans,A.Karpozilos,,CFGB39,Thessalonike1990
2. Psellus,Michael,Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia,Trans,by:R.R.Sweter,New York Penguine,1966.
3. Psellos, Michael:the Encomium of His Mother trans:Jeffrey Walker, ,Whetoric& Writing,University of Texas 2005.
4. Psellus, Michael, The Letters of Psellos, Edited by Michael Jeffreys& Marcd Lauxtermann, Oxfurd University press 2017.
5. Zonaras,EpitomeHistoriaoum,III,ed.T.Butter-Wobest,CSHB,Bonn,1897.
6. aldellis,Anthony,Mother and Sons,Fathers and Daughters,The Byzantine family of Michael Psellos,edited and translated by Kaldellis Anthony,university of Notre Dame(2006)
7. Skylitzes,John,A.Synopsis of Byzantine History 811-1057,Translated by JohnWortly,with Introductions by Jean-Claude,Cambridge University Press,2010.
8. Collisson,Marcus,Micael Psellus on the Operation of Daemons,introduct-ion by Stephen Skinner,Golden Hoard press 2010.
9. Cambridge,Medieval,Historyt,V.1VTheByzantineEmpire,Part1,Cambridge University Press,2017.

10. Watts,E. ,"Justinan,Malalas,and the end of Athenian philosophical Teaching in A.D.529" JRS94(2004),
11. Vladimirou, Andrew, Michael Psellos and Byzantine Astrology in the Eleventh Century, A Journal of the History of Astrology and Cultural Astronomy Vol. 13 no. 1, Spring/Summer 2009.
12. A,Kazhdan,Women at Home,Dop52,1998.
13. Bréhier, Louis, La civilisation byzantine, Éditions Albin Michel, Paris, 1950.
14. Kalavrezou,I,Byzantine Women and their World,New Haven,Yale Univeraity press,(2003),
15. Hill .B " Imperial Women and The Ideology of Womanhood in the Eleventh and twelfth Centuries "In Weomen Men Eumchs : Gender in Byzantinth ed L James New York 1997.
16. Denis,w.What did Michael Psellos Say About Women in the 11th Century AD.
17. Barber,Charles&J.David,ReadingMichaelPsellos,Brill,Leiden,Boston 2006.
18. Herrin, Judith,Woman and Empire in Byzantum, Paris2013.
19. Kyriakis,M.J."Medieval Europen Society as seen in two 11th Century Texts of Michael Psellos",BS EB 4/2(1977.
20. Leroy-Molinghen,Styliane, A. ,B39(1969) 155-63
21. Psellos,Scripta Minora,I
22. Vinning,Timothy,Achronology of Byzantine Empire,introduction,Jonathan Harris,Lodon 2006
23. Mullet,Margaret, Female Founders in Byzantium and Beyondn,Vienna 2012.p173,
24. Ostrogrosky.G.History of the Byzantine state.translated by Joan Hussy.(Oxford-1968)
25. Garland,Lynda,Women and Power AD 527-1204,New York 1999
26. Papaionnou,Staratis,Michael Psellos Rhetoric and Authorship in Byzantium,Cambridge Univercity Press 2013